عالمة الفرائض الفقيهة ستيتة المحاملي (ت:٣٧٧هـ/٩٨٧م)

أ.م.د.وئام عدنان عباس النعيمي
كلية التربية للبنات-جامعة بغداد
Weaam.adnan62@gmail.com

الملخص :

احتضن الاسلام تاريخاً عنياً بالنساء البارزات في مجال المعرفة الدينية والمعارف الاخرى، استطعن بسعيهن في طلب العلم ان يتركن بصمة في مجال تخصصهن ، و ستيتة المحاملي (ت: ٣٧٧هـ /٩٨٧م) واحدة منهن ، إذ جمع لها من ترجم سيرتها اروع كلمات الثناء والاعجاب لتميزها في علوم الحديث ، واتقانها للفقه حتى برعت في علم الفرائض ، فكانت اعلم الناس بها واحفظهم ومرجعاً للبغدادين آنذاك في الكثير من مسائلة ، وما هذا البحث الا محاولة لتتبع مسار حياتها او مسيرتها العلمية ومكانتها الاجتماعية واثرها في الاجيال التالية لها.

The Court of Jurisdiction
(T: 377 AH / 987 AD)

Assist. Prof. Dr. Weaam Adnan Abbas
College of Education for Women-University of Baghdad

Abstract

Islam embraced the history of women in the field of religious knowledge and other knowledge. They were able to seek knowledge in order to

leave a mark in their field of specialization, and the state of the lawyers (v. 377 AH / 987) was one of them. And knowledge of the jurisprudence, so I knew the people and save them and reference to the Baghdadis at the time in a lot of accountability, and this research is only an attempt to track the course of her life or scientific career and social status and impact in the generations to come.

المقدمة:

يتبين من الدراسة في كتب التاريخ، والتراجم، والسير، وكتب الطبقات، إن عدد كبير من النساء اللاتي عملن بمختلف مجالات العمل الديني فكانت هناك المحدثات، وهن من كن على علم بما ورد عن الرسول: (صلى الله عليه وسلم) من قول أو من فعل من علم محدد له في مناهج خاصة به، طرائق محددة للنقل يلزم بها كل من يقوم بنقل الحديث، والاشتغال بعلومه، وكان هناك الواعظات، وهن من إعتمدن على القران، والحديث لتوجيه النصائح للناس، وتذكيرهم بمسؤولياتهم الدينية، وواجباتهم تجاه الله تعالى، وشيخات الربط، وهن اللاتي قمن على إدارة دور الصوفية، ورعاية المتصوفين، وتدريب المريدين، وتعليم التلاوة والذكر فضلا على القيام بشؤون الدار، وهناك الفقيهات اللاتي أتممن دراسة الاحكام الشرعية وأصبحن مؤهلات لاصدار حلول، وآراء شرعية لمشكلات تعرض عليهن ومنهن عالمتنا الجليلة أمة الواحد بنت ابي عبدالله الحسين المحاملي التي كانت مصدرا من

مصادر الأحكام الشرعية الخاصة بالفرائض في عصرها.

إن الحديث عن ستيتة المحاملي هو الحديث عن الثقافة النسائية في العراق في القرن ٤هـ/١٠م لأن ثقافة ستيتة تمثل أعلى ما وصلت اليه المرأه العراقية المثقفة في القرن المذكور، وهذا ما آثار أهتمام الباحثة لدراستها دراسة تاريخية على وفق متطلبات البحث العلمي الاكاديمي ومنهجه الموضوعي، بغية تسليط الضوء على مكانتها العلمية الرفيعة وثقافتها التي تجلت في علوم كثيرة (الحديث، والفقه، اللغة)، ولحث الباحثين أيضاً على الاهتمام بماضينا المشرق والسعي لاحياء تراثنا الفكري العريق الذي خلده أولئك العلماء النوابغ ليكونوا قدوة للحاضر والمستقبل ومن الله التوفيق والسداد.

عصرها:

عاصرت ستيتة في مدة حياتها ببغداد مركز الخلافة العباسية، ومركز الاشعاع الفكري والحضاري لأكثر من خمسة قرون، تسعة من الخلافاء العباسيين وكان أولهم المعتضد بالله (٢٢٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-

٩٠٢م) من ثم المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) ثم المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣١-٩٣٣م) والراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ /٩٣٣-٩٤٠م) المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م) والمستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤ هـ /٩٤٤-٩٤٥م) والمطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م) والطائع لله (٣٦٣-٣٩٣هـ /٩٧٣-١٠٠٢ م).

وتميزت هذه الحقبة من الناحية السياسية، بقوة التيار الانفصالي، الذي تمخض عنه قيام دويلات إسلامية مستقلة عن الحكم المركزي، ففي مصر قامت الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/م)، ثم بعدها الدولة الاخشيدية (٣٢٣-٣٥٨ه/٩٣٥-٩٦٩م) وفي المغرب قامت الدولة الفاطمية (سنة ٣٠٠ه/٩١٢م)، ثم امتدت لتشمل مصر سنة (٣٥٨ه/٩٦٩م)، وفي المشرق الاسلامي قامت الدولة الطاهرية (٢٥٩-٢٨٣ه/٨٦١-١٠٠٣م)، ثم تلتها الدولة الصفارية (٢٤٧-٣٩٣ه/٨٦١-١٠٠٣م) وقامت الدولة السامانية (٢٦٦-٣٨٩ه/٨٨٠-٩٩٩م) وعاصمتها بخارى، والى جانب التيار

الانفصالي كانت مؤسسة الخلافة في بغداد خاصعة بالكامل لهمينة القادة الاتراك، وإن كانت هناك محاولات جادة لاعادة هيبة السلطة العربية الاسلامية، والسعي للإستقلال، والتحرر من السيطرة التركية، التي تمت على يد الخليفتين المعتضد بالله، والمكتفي بالله. إلا أن مساعيهم لم تكلل بالنجاح لمجيء خلفاء ضعاف لم يفلحوا في مواصلة هذا المنهج، فأسفر ضعفهم، وعجزهم عن مجيء البويهيين، وسيطرتهم على مقاليد الحكم.

وعلى الرغم من إن ظاهرة أنقسام الدولة الى دويلات تدل على الضعف السياسي وتمزق الدولة، فانها من ناحية أخرى أفادت في مجالات عدة مثل التنوع الفكري الحضاري، إذ تعدد الحواضر بدلاً من حاضرة واحدة، واصبح هَمُّ كل أمير مستقل أن يزين عاصمة ملكه بالعلم والعلماء وأن يقربهم ليتخذ منهم واجهة علمية وأدبية ودينية ترقى بهم عاصمة ملكه[1] ولاشك أن التلاقح الفكري الذي تحقق بفضل رحلة العلماء الى هذه الحواضر كان له شأن في بلوغ العلم اعلى مراحل نضوجه.

اما في الجانب الثقافي، فقد بقيت بغداد مركزاً مهماً من اهم مراكز الثقافة العربية ومحط انظار طلاب

العلم والمعرفة، لاسيما وان المدارس فيها كثيرة، وكان للمدارس اوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ويجرون على الطلبة ما يقوم بهم وليس هذا بغريب فلهذه البلاد في امر هذه المدارس والمارستانات شي عظيم وفخر مخلد[٢].

لذلك وصفت بغداد بأنها "منبع العلماء" ومنها كان "كل فقيه ومقرئ وأديب... وزاهد ونجيب وظريف ولبيب"[٣] فبقيت بغداد منار العلم والثقافة والمعارف بفنونها المتعددة، وفيها تعلمت أمْة الواحد ستيتة، وعلّمت حتى صار لها شأن كبير واسهاماً فاعل في عموم الحركة الفكرية، والثقافية التي شهدتها بغداد خاصة والعراق عامة.

اسمها ونسبها، ومولدها:

إسمها حسب ما ذكره الخطيب البغدادي هو: ستيتة بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد بن أسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي(*) المحاملي(**)[٤]، وكانت تكنى بأمة الواحد[٥].

لاتشير المصادر المتوفرة –لامن قريب، ولا من بعيد – الى تاريخ مولد ستيتة ، ولكن يمكن الاستنتاج من المعلومة التي اوردها ابن كثير[٦]، ومفادها ان ستيتة ماتت ولها من العمر "بضع وتسعين سنة"، ان تاريخ

مولدها محصور ما بين عامي (٢٨٣هـ /٨٩٦ م) و(٢٨٤هـ/٨٩٧ م)، وذلك اعتمادا على تاريخ وفاتها والذي كان في سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م) وباتفاق كل من ترجم لها[٧].

نشأتها:

ان ما لدينا من المعلومات التي تتعلق بنشأة ستيتة وتحصيلها العلمي قليل جدا، وكل الذي تمكنا من جمعه من معلومات ما هي إلا شذرات واشارات عرضية اوردتها بعض المصادر التي ترجمت لها. وسنحاول ان نبين بعض جوانب هذه النشأة وشيئا من طلبها للعلم وتطلعاتها، وعلاقتها بالعلماء وفقاً لما جاء في هذه الاشارات. لاشك ان الاثر الاكبر على أي شخص كان، هو اثر المحيط عليه، وبالاخص تاثير الاسرة، ودور اسرة ستيتة في نشأتها واضح جداً، اذ نشأت في بيئة علمية متميزة، ساعدت في تكوين شخصيتها العلمية وظهور مواهبها، وسرعة نبوغها ونجابتها ،فهي تنتسب الى أسرة المحاملي وهي أسرة إشتهرت بتفوقها العلمي فقد ألف أفرادها المرابطة في حلقات العلم، وملازمة مجال التعلم، والاستئناس بمرافقة العلماء، وآثر أفرادها الانتساب الى حلقات التدريس والإفتاء التي كانت تغص بها مساجد ومدارس بغداد، قد إرتوت جذور هذه الاسرة

بالعلوم الشرعية، ونمت أغصانها على ذلك، وترعرعت يافعة ندية تحمل بين جوانحها أنواع العلوم، وأصناف المعارف، فتألقت وإرتفعت وعلا شأنها، فذاع صيتها، وسجل التاريخ أخبارها، وسيرتها، ومسيرتها في رحلة التعليم الطويلة، إذ أسهمت هذه الاسرة في بث الوعي الديني، ونشر العلم الشرعي وتبليغه.

وقد برز أفراد هذه الأسرة، وإشتهروا، وتقلد عدة من أفرادها مناصب مرموقة في التدريس والافتاء والقضاء، وغير ذلك من المناصب العلمية.

ومن أشهر علماء هذه الاسرة وأعلامها:

جدها: إسماعيل الضبي محدث بغداد ترجم له الخطيب[٨] في تاريخ بغداد وقال عنه انه من ضبة البصرة، سكن بغداد، وحدث بها عن الفيض بن وثيق، وعبدالله إبن عون الخراز، وأبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، روى عنه إبناه الحسين، والقاسم.

أما والدها: فهو الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي المحاملي (ت:٣٣٠ هـ/ ٨٤٤م)، القاضي أبو عبدالله، العلامة، الحافظ شيخ بغداد ومحدثها، وفقيهها، وكان فاضلا، دينا، صادقا، ثقة، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، وكان يحضر إملائه عشرة الاف رجل يكتبون

عنه[٩]، ولهُ مصنفات عديدة أبرزها المحامليات[١٠]. وعمها المحدث القاسم بن إسماعيل بن محمد بن أبان، أبو عبيد المحاملي ت (:٣٢٣ هـ/٩٣٤ م) وهو من أهل الحديث والعلم، ثقة صدوق[١١] إزاء هذه المكانة المرموقة والمنزلة العلمية الرفيعة التي تالقت فيها أسرة ستيتة وإشتهر خبرها، كان من الطبيعي أن تتبع خطى أعلامها، وتكون خلفا صالحا لسلف صالح، فولادتها، ونشأتها في كنف أسرة علمية يرعى شؤونها عالم جليل، وإمام كبير، وفقيه قدير حري أن تكون نشأتها قائمة على الفضيلة بجانب العلم والإستزادة من المعرفة فهي تهتدي بهدى هذه الاسرة، وتقتفي آثارها وتنهل من مناهجها، وتتزود من علومها الغزيرة فخضعت منذ الصغر الى منهاج تعليمي قام والدها بوضع مواده، إستند على تعليم مباديء الدين الإسلامي، وسنن رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وأخلاق آل بيته الاطهار وأصحابه الكرام.

ولما بلغت ستيتة سن الزواج، زوجها والدها من إبن عمها أحمد بن القاسم بن إسماعيل المحاملي (ت:٣٣٧ه/٩٣٨م)[١٢]، وهناك مايشير الى إستمرارها في طلب العلم حتى بعد الزواج والانجاب، وليس أدل على ذلك من نبوغها، وبراعتها في علم الفرائض فصارت

الملاذ الذي تلجأ اليه دور القضاء في بغداد لإيجاد الحلول للمشكلات المتعلقة بالتركات، هذا ما يتعلق بالجانب الفكري، أما على الصعيد الأسري فان اهتماماتها العلمية والدينية، إنعكست على نشأة أبنائها وأحفادها، وتربيتهم، وتكوينهم الفكري، والثقافي فابنها القاضي ابي الحسين محمد بن احمد بن القاسم بن اسماعيل المحاملي (ت:٤٠٧ه/١٠١٦م)، واذ كان من كبار الفقهاء الشافعية، حفظ القرآن، والفرائض وحسابها، والدور، ودرس الفقه على المذهب الشافعي، وكتب الحديث، وكان ثقة صادقا خيرا فاضلا، صنف العديد من الكتب[١٣].

أما حفيدها: القاضي أبي الحسن المحاملي (ت:٤١٥ه/١٠٢٤م) الذي رزق من الذكاء، والفطنة ماتميز به على معاصريه، وتفوق على اقرانه، وبرع في الفقه، وظهر للجميع تمكنه وطول باعه في المذهب الشافعي، قال عنه أستاذه ابي حامد الاسفراييني[١٤] "رزق من الذكاء وحسن الفهم ما أربى على أقرانه"[١٥] لذلك التف حوله طلبة العلم، وقصده التلاميذ من كل البلدان، وصنف العديد من الكتب أبرزها ((كتاب اللباب في الفقه الشافعي))[١٦]، وكتاب (المجموع) في عدة مجلدات، والمقنع[١٧].

ثقافتها العلمية:

على الرغم من ضآلة المعلومات في المصادر المعتمدة في البحث عن بداية حياة ستيتة العلمية، وكيفية تحصيلها، ومتى بدأت وأماكن دراستها، وأوقاتها، إلا أن ما ورد من إشارات، وما وصلت اليه من مكانة علمية رفيعة، ومنزلة إجتماعية محمودة، تؤكد إن ستيتة قد بدأت العلم والتحصيل الدراسي في سن مبكره[١٨]، وهو ما درج عليه المسلمين في دفع بناتهن الى طلب العلم في سن مبكرة، خاصة مع اللواتي تميزن بالذكاء والفطنه[١٩]. هذا بالنسبة الى عامة المسلمين فما بالك بأسرة علمية مثل اسرة ستيتة، فكان بيتها وافراد اسرتها هم منهلها العلمي الاول ومدرستها الاولى في التعليم، وابرز العلوم التي تلقتها هى: القرآن، والحديث، والفرائض، والعربية، شأنها في ذلك شأن المهتمين في العلوم الدينية[٢٠].

وبعد أن أتمت المرحلة الاولى من تعليمها، انتقلت الى المرحلة العليا، فأنكبت على التعمق في كل ما تلقته من علوم، وأول أشتغالها في هذه المرحلة كان في الحديث، ورواية الحديث كانت تتطلب من صاحبها شروطاً معينة: تتطلب منه معرفة دقيقة بالرواة الذين ينقل عنهم، هذا الى جانب القدرة على المقارنة والتمحيص حتى يستطيع ان ينقد الاحاديث المروية

ويبين الصحيح منها[٢١]، فكانت رواية الحديث المدخل الذي دلغت منه ستيتة المحاملي، فسمعت من أبيها ،وكان سماعها كثيرا" او مطلقا" دون تحديد-بحكم ملازمتها له-وبأفادته تتلمذت على مشايخ عصرها، وحين أدركت أنها أستوعبت مسموعاتها بدأت الرواية عن والدها[٢٢].

والدارس لما تيسر له من سيرة ستيتة، يدرك أنها لم تفكر يوما أن تقصر تعليمها على علوم القرآن، وحفظ الحديث وروايته فقط، فقد أتجهت الى دراسة الفقه، على الرغم من إنه من العلوم الدينية التي تحتاج الى قدرات عقلية تحليلية، ودراية واسعة بعلوم الدين، ومعرفة أحكامه وهذا يعني أنها إختطت لنفسها نهجا عزفت الاخريات عن الخوض فيه وترددن في الإشتغال به، وقد إتضح من الدراسات الحديثة التي تخصصت في تقصي آثار النساء العالمات، إن نسبة وجود المرأة المحدثة أكثر بكثير من المرأة المشتغلة في مجال العلوم العقلية[٢٣]، ولا نعلم هل هذا يعود الى توجيه الأسرة أم الفقهاء الاساتذة أم المجتمع أم كل ذلك مجتمعا. وفي حالة عالمتنا نجد أن أسرتها التي تخصص فيها أكثر من واحد من أفرادها في الفقه على المذهب الشافعي، كان لها الأثر الكبير في توجهها العلمي هذا. وجاء اهتمامها

بالفقه متسقاً مع خطاها الحثيثة على الطريق ذاته الذي انتهجه اهلها.

والفقيه لقب يطلق على الطالب الذي يعنى بدراسة الفقه[٢٤]، وهو أيضا العالم بأحكام الشريعة، ولان التشريع الاسلامي يستند على القران والسنة النبوية، وهومنهج شامل للحياة في مختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لذا فأن الفقيه يحتل اهمية كبيرة ليس بين علماء عصره فقط وأنما في المجتمع عامة، لانه ملاذ الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية[٢٥].

والمـرأة الفقيهه لم تقتـصر في علومها على حفظ القـران الكريم وحده، ودراسة الحديث الشريف على الرغم من أهميتهما لها، أنما تمتد عنايتها لكل ما له صلة باحكام الشريعة الاسلامية وشؤون الحياة لكي تكون متمكنة من علومها مسوفية استيعابها لها ومن ثم تكون قادرة على افادة الناس واداء دورها الاجتماعي مساواة باقرانها العلماء الفقهاء المعـاصرين[٢٦].

ولان المذاهب الفقهية في الاسلام كانت متعددة، وان نشأة البنت على العلم تبدأ في مراحلها الاولى في الاسرة، ومن الطبيعي ان تكون البنت بعد ذلك على سيرة ابيها وعلى مذهبه فكانت ستيتة على مذهب الامام الشافعي لان والدها كان من اعلام الشافعية في عصره.

وهكذا كانت أسرتها محطتها الاولى في انطلاقها للاحاطة بالفقه على مذهبها ،فتعمقت فيه وبرعت في احد فروعه الا وهوعلم الفرائض(***) وحسابها ومسائل الدور(****)، فكانت اعلم الناس بها واحفظهم[٢٧] فذاع صيتها، ولما صار لها في هذا العلوم قدم راسخة، ومؤهلة لاصدار حلول واراء لمشكلات وخلافات شرعية تتصل في هذا المجال ،تصدرت للافتاء[٢٨].

واشتغال المرأة بهذا المجال لم يكن وليد هذا العصر، فهناك امثلة كثيرة لنساء مفتيات كان يلجأ اليهن الناس لمعرفة احكام الدين فيما يقابلهم من مشكلات وخلافات شرعية في حياتهم اليومية، فأدت السيدة عائشة (رضي الله عنها) دورا مهما في هذا المجال، إذ كان المسلمون يلجأون اليها فيما يعترضهم من مشكلات شرعية، فأشتهرت بكثرة الفتيا، ولهذا جعلها ابن قيم الجوزية في المقدمة[٢٩]، ومن امهات المؤمنين اللاتي اشتغلن بالفتيا ايضاً، ام سلمى (رضي الله عنها)[٣٠]. ولكن بموت هذا الجيل من الصحابة والصحابيات فقد المسلمون مصدراً مهماً كان يوجههم، ويرشدهم لادق التفاصيل المتعلقة بالاحكام الشرعية، ولهذا بدأ المسلمون مع القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) يطلبون المشورة والنصيحة من الاشخاص الذين تميزوا بالعقل

والثقة والتقوى والعدل والعلم الواسع بالاحكام الشرعية اصولها وفروعها، ومن هنا اصبحت هذه الصفات صفات اساسية في المفتي الذي تقبل فتواه، وبدأ الافتاء يتبلور في المجتمع الاسلامي ويصبح نشاطاً واضحاً له شروط وقواعد تحكمه، شروط اتفق عليها رجال العلم والدين وليس رجال الدولة والسياسة، فالافتاء في البداية لم يكن مرتبطا بالسلطة بل كان عملاً حراً مفتوحاً تتوفر فيه هذه الصفات، لذا عملت المرأة في هذا المجال وبرزت فيه، وكانت ستيتة من مبرزات القرن الرابع الهجري في الافتاء.

واذا علمنا مع من كانت تفتي، لتبين لنا مقدار ما كانت تحمله هذه السيدة الفاضلة العالمة من علم ورأي وفضل، اذ كانت تفتي مع ابي علي بن ابي هريرة[٣١] الذي قال عنه الذهبي[٣٢] "من اصحاب الوجوه انتهت اليه رئاسة المذهب" ووصفه السيوطي[٣٣]، بأنه " زعيم عظيم الفقهاء " وعالم بهذه الدرجة العلمية الرفيعة لا يقبل ان يفتي معه احد، الا اذا كان متأكداً من انه يمتلك ملكة يقدر بها على استنتاج الاحكام من ادلتها الشرعية، وهذا ما كانت عليه أمة الواحد.

تميزها في علم الرياضيات:

لقد سجلت ستيتة، إضافة الى تميزها بالفقه، ورواية الحديث، وعلوم اللغة، حضورا علميا مهما بخوضها بأحد الجوانب العلمية المهمة، وهو علم الرياضيات وما يتعلق به من معارف، ولعل تميزها يعود الى براعتها في الفرائض التي كانت بالأساس قائمة على مسائل رياضية حدَدها الحاجي خليفة بـ(مائة مسئله)[٣٤]، وبذلك تكون قد أعطت لنا برهانا ودليلا هاما على أهمية المرأة العربية وخوضها في الجوانب العلمية الصرفة، فقد تركت لنا مجموعة من المسائل الرياضية، والحلول المبتكرة لها التي لا تخلو من أصالة علمية وتدل على مدى تطور العقل العربي البارع[٣٥].

شيوخها الذين روت عنهم:

تعلمت ستيتة ببغداد وواصلت سعيها الدؤوب في طلب العلم وافادة الناس به حتى وفاتها. ولم ترحل الى بلاد اخرى كما جرت العادة عند غيرها من طلاب العلم والمعرفة وكان لوالدها وشيوخ بغداد وعلمائها الاعلام المعروفين بثقافتهم الواسعة الاثر الواضح في تشكيل شخصيتها العلمية ومن بين اولئك الشيوخ والعلماء الذين انتفعت بهم ستيتة، منذ ان كانت صبية وتأدبت بهم وتتلمذت عليهم في علوم عديدة، كالقرآن الكريم

والحديث النبوي الشريف، والعربية، والمذهب، والفقه، الفرائض وغيرها، وقفن على ثلاثة منهم هم:

١- المحدث الحجة أبو علي إسماعيل بن العباس بن عمر بن مهران البغدادي الوراق.

سمع الحسن بن عرفة، والزبير بن بكار، وعلي بن حرب، ومن في طبقتهم وهم من اساطين العلم في زمانهم.

حدث عنه جماعة منهم: ولده أبو بكر محمد، والدارقطني، وعيسى بن الوزير، أبو طاهر المخلص، وآخرون وثقه الدارقطني، توفي سنة (٣٢٣ هـ/٩٣٤ م)، وقد نيف على الثمانين[٣٦].

٢- أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن الحسن الواعظ المعروف بالمصري، ولد في بغداد في شهر المحرم سنة (٢٥١ هـ/٨٦٥ م)، وسافر الى مصر، وأقام فيها مدة طويلة، ثم رجع الى بغداد فعرف بالمصري، سمع الحديث ورواه عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وعبدالله إبن الحسن الهاشمي، وأبي اسماعيل الترمذي ، وغيرهم من البغداديين.

وأخذ منه: محمد بن اسماعيل الوراق، ومحمد إبن المظفر، والدارقطني، ومحمد بن فارس الغوري[٣٧].

كان أبو الحسن ثقة أمينا عارفا جمع حديث الليث بن سعد ، وإبن لهيعة، وصنف كتبا كثيرة في الزهد، وكان له مجلس يتكلم فيه بلسان الواعظ، وكان يجعل على وجهه برقعا تخوفا ظان يفتتن به النساء من حسن وجهه.

توفي يوم الاحد لتسع ليالي بقين من ذي الحجه سنة (٣٣٨ هـ/٩٤٩ م)، ودفن في مقبرة الخيزران[٣٨]، وله سبع وثمانون عاما[٣٩].

٣- المحدث الحجة عبدالغافر بن سلامة ، أبو هاشم الحضرمي المصري الحمصي، نزيل البصرة.

حدث في عدة مدن عن كثير بن عبيد، ويحيى بن عثمان، وروى عنه الدارقطني، وإبن شاهين، وإبن جامع الدهان، وإبن السلط الاحوازي، وهو آخر من روى عنه من البغداديين، والقاضي أبو عمر الهاشمي، وإبن جميع وثقة الخطيب توفي سنة(٣٣٠ هـ/ ٩٤١م)[٤٠].

وقبل ان ننهي هذه الجزئية من حياة ستيتة العلمية، تجدر الاشارة الى ان كل من ترجم لها لم يفصح عن صور انتفاعها من شيوخها، او يحدد اياً من العلوم التي استوعبتها، وأخذتها عنهم، لكن من المرجح

ان العلم الذي انتفعت به من شيوخها، هو الحديث النبوي الشريف وعلومه، لانهم كما اتضح كانوا جلهم من المحدثين.

تلاميذها:

وما ان استوعبت علومها ومرويات شيوخها ، ادركت انها قادرة على نشرها بين الناس لينتفعوا بها، كما انتفعت بعلوم شيوخها وروايتهم، وهو امر دأب العلماء عليه منذ بدأ الرسالة الاسلامية. اذ ليس الغاية من العلم التجمل فيه انما العمل به لينتفع الناس، وبانتفاعهم تحقيق لمرضاة الله سبحانه وتعالى وحسن ثواب الاخرة، عملا بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "... فلن يؤجركم الله بالعلم حتى تعلموا"[٤١]، وتاكيدا لما جاء به الاوائل من الثقات أذ قالوا: "تعلموا العلم وانتفعوا به ولا تعلموه لتتجملوا به"[٤٢].

وهكذا كان أهتمام ستيتة اخذا وعطاء وبدأت التدريس فاشتهر ذكرها، وانتشر خبرها، فقصدها الطلبة والعلماء لينهلوا من علومها، ويحدثوا ويرووا بمسموعاتهم عنها لينفعوا بدورهم أخرين. ومما يؤسف اليه إن مصادرنا لم تذكر من تلامذته غير الحسن بن محمد الخلال، وهو الامام الحافظ المجود، محدث العراق، أبو أحمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن

بن علي، البغدادي الخلال. ولد سنة (٣٥٢ هـ/٩٦٣ م)، سمع أبا بكر القطيعي، وأبا بكر الوراق، وأبا سعيد السيرافي، ومحمد بن المظفر، وأبا عمر بن حيويه... وخلقا كثيرا.

حدث عنه الخطيب وجعفر بن أحمد السراج، والمبارك بن عبد الجبار الصيرفي، ومحمد بن أحمد الصندلي، وأبو الفضل بن جيرون، والمعتمد بن أبي عمامة.... وآخرون[٤٣].

قال عنه الذهبي: ثقة له معرفة وتنبه وخرَج "المسند" على الصحيحين، وجمع أبوابا-وتراجم كثيرة. مات في جمادي الاولى من سنة (٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م)[٤٤].

ووثقه علماء عصره، فقال عنه محمد بن علي الصوري "ما رأت عيناني بعد عبدالغني بن سعيد أحفظ من أبي محمد الخلال البغدادي"[٤٥].

وفاتها:

توفيت العالمة الجليلة أمة الواحد ستيتة في شهر رمضان سنة (٣٧٧ هـ /٩٨٧ م) بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم وكان عمرها عند وفاتها "بضع وتسعين سنة"[٤٦].

فارقت الحياة بعد أن بلغت مكانة مرموقة بين علماء عصرها، وتبوأت مرتبة عالية، وذلك لما وهبها _الله تعالى_ من النجابة والذكاء، والفطنة، وحظور الفكر، وسرعة البديهة، ولا عجب في ذلك فأن لنشأتها في أسرة علمية عريقة، ومجتمع علمي نشط، أثر كثيرا في بلوغها تلك المكانة، ووصولها تلك المرتبة، يقول الخطيب البغدادي: "وقال لي الخلال: كان أبو حامد الاسفراييني يعظمها ويكرمها"[٤٧].

الخاتمة

وفي نهاية البحث، وبعد أن تعرفنا بشكل دقيق ومفصل عن الجوانب المهمة والاساسية في حياة عالمتنا البغدادية ستيتة المحاملي، يمكن أن نبوّب ما تم تدوينه بهذا الخصوص بالنقاط الآتية:

- عاصرت ستيتة خلال مدة حياتها ببغداد تسعة من الخلفاء أولهم المعتضد بالله (٢٢٩-٢٣٩ه/٨٩٢-٩٠٢م)، وآخرهم الخليفة الطائع لله (٣٦٣-٣٩٣هم٩٧٣-١٠٠٢م)، وتميزت تلك الحقبة بهيمنة النفوذ التركي على مقدرات الحكم في عموم الدولة، وشهدت تلك الحقبة أيضاً محاولات جادة لاعادة هيبة الخلافة العربية الاسلامية، إلا هذه المساعي لم تكلل بالنجاح. لكن رغم ذلك فأن بغداد

من الناحية الثقافية ظلت مركزاً مهماً من مراكز الثقافة العربية ومحط انظار طلاب العلم والمعرفة، ومنار العلم والمعارف بفنونها المتعددة، هكذا كانت الحياة العلمية في العراق عامة وفي بغداد خاصة، حياة نشطة بعلمائها ومفكريها، وسط تلك الاجواء نشأت ستيتة وتعلمت حتى صار لها شأن كبير في عموم الحركة الفكرية.

- ولدت ستيتة في بغداد في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهذا ما توصل اليه البحث بعد تحليل الروايات وتمحيصها إذ أن مصادرنا التاريخية لم تذكر تاريخ ميلادها صراحة، بل اكتفت بذكر سنة وفاتها وعمرها حين الوفاة.
- عاشت ستيتة بين أسرة كريمة أصيلة هي أسرة المحاملي التي اشتهرت بتفوقها العلمي، وبرز فيها اكثر من واحد منهم جدها أسماعيل الضبي محدث بغداد، ووالدها الحسين بن اسماعيل المحاملي شيخ بغداد والقضاي المبرز، دعمها المحدث القاسم بن اسماعيل وهو من أهل الحديث والعلم، فأكستبت ستيتة عاداتها واتجاهاتها وميولها العلمية متأثرة

بأفراد أسرتها الذين كان العلم زادهم والايمان سلوكهم.

- بدأت ستيتة تحصيلها العلمي في سن مبكرة، وابرز العلوم التي تلقتها القرآن والحديث والعربية، ثم أتجهت الى دراسة الفقه فبرعت في العديد من فروعه أهمها علم الفرائض وحسابها فصار لها قدم راسخة ومؤهلة لاصدار حلول وآراء لمشكلات تتصل في ذلك المجال.
- الى جانب تميزها بالفقه ورواية الحديث، سجلت ستيتة حضوراً علمياً مهماً بخوضها بأحد الجوابن العلمية المهمة، وهو علم الرياضيات، ولعل تميزها يعود الى براعتها في الفرائض التي كانت قائمة على مسائل رياضية.

وفي الختام نقول إن البحث عرض تفاصيل دقيقة عن النشاط العلمي للمرأة البغدادية، كما يمكننا أن نستنتج منه صورة ذلك المجتمع الفاعل المنصف الذي اتاح للمرأة ذلك النشاط، فلم نجد متعلماً تحرج من الاخذ عن امرأة، ولا هو انكر ما علمته بعد ان اشتهر وصار عالماً ولذلك كان علماء ذلك العصر يذكرون منهاج شيوخهم من النساء ورجال اقراراً بفضلهم في صورة

من الوعي المتقدم الذي تراجع في القرون المتأخرة وربما الحديثة.

هوامش البحث

[١] زغروت، فتحي، النوازل الكبرى في التاريخ الاسلامي، دار الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع، (لا.م-٢٠٠٩)، ص٦٩.

[٢] د.ناجية عبد الله إبراهيم، رائد الثقافة الموسوعية ببغداد ابو بقاء العكبري (٥٣٨هـ- ٦١٦هـ /١١٤٣-١٢١٩م)، بيت الحكمة، (بغداد – ٢٠١٠)، ص٧.

[٣] المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، (القاهرة-١٩٩١)، ص١١٣.

(*) الضبَي : بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الباء الموحدة ، نسبة إلى ضبة بن آد بن طابخة بن الياس من مضر، وللأخير ينسب (بني ضَبة)، وهى قبيلة كبيرة مشهورة-السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، تح: محمد عوامة، ط٢، (القاهرة – ١٩٨٠)، ٨-١٤٤.

(**)المحاملي: نسبة إلى المحامل جمع محمل وهي:التي يحمل عليها الناس على الجمال في الاسفار، وذلك لأن بعض أجدادها كان يبيع هذه المحامل ببغداد فنسبت هذه الأسرة إلى تلك المهنة. السمعاني، الأنساب، تحقيق رياض مراد ومطيع الحافظ، (القاهره ١٩٨٤)، ١٥٢/١١.

[٤] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ، تاريخ بغداد مدينة السلام، دار الكتب العلمية، (بيروت – د.ت)، ٤٤٢/١٤؛ إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة ، تح: محمود فاخوري، ومحمد رواسي، (بيروت -١٩٩٦)،-٥٢٨/٢؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، (بيروت– ١٣٥٨هـ)، ١٣٨/٧؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، (لبنان– د.ت)، ٦٠٧/٦ .

[٥] إبن الجوزي، المنتظم، ١٣٨/٧؛ إبن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، (بيروت – د.ت)، ٣٠٦/١١ ؛ إبن تغري بردي، جمال الدين

بن محاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة – ١٩٦٣)، ٤٣٩/١.

[٦] البداية والنهاية، ٣٦٠/١١.

[٧] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/ ٤٤٢؛ إبن الجوزي، صفة الصفوة، ٥٢٨/٢ ؛ المنتظم، ٧/ ١٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، (د.م-٢٠٠١م)، ٢٦٤/١٥؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٦/١١ .

[٨] تاريخ بغداد، ٢٠٨/٦، ينظر أيضا : السمعاني، الأنساب ، ١٤٤/٨.

[٩] الخطيب الغدادي، تاريخ بغداد، ٤٤٠/٩؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ٥٢٥/١١ و١٢/ حاشية ص ٢٢٣.

[١٠] حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، طبعة الاوفست منشورات مكتبة المثنى، (بغداد-لا.ت)، م٥٨٨/١. والمحامليات على ماذكرها الحاجي خليفة تتكون من ستة عشر جزء.

[١١] السمعاني، الانساب، ١٥٢/١١-١٥٣.

[١٢] لا توجد رواية صريحة بأقتران ستيتة بأبن عمها، لكن توصلنا الى هذه المعلومة من تراجم اعلام اسرتها.

[١٣] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٢/١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٦٤/١٥ ; إبن ماكولا ، علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٤١١هـ)، ٢٦٤/٤ .

[١٤] هو أحمد بن ابي طاهر محمد بن أحمد، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٣٤٤ه/٩٥٥م، قدم بغداد وهو صغير سنة (٣٦٢ه/٩٧٣م)، ودرس الفقه بها، فبرع فيه، وكان أماماً جليلاً يحضر مجلسه اكثر من سبعمائه متفقه، وله مصنفات منها التعلقية الكبرى، وكتاب البستان، توفي ابو حامد ببغداد في شوال سنة (٤٠٦ه/١٠١٥م)؛ ينظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت-لا . ت)٧٢/١..

[١٥] كتاب اللباب في الفقه الشافعي مطبوع تولت دار البخاري في المدينة المنورة تحقيقه وطباعته سنة ١٤١٦ه.

[١٦] الشيرازي، ابراهيم بن علي بن يوسف ، طبقات الفقهاء ،تحقيق:احسان عباس ،دار الرائد العربي ،(بيروت-١٩٧٠)، ص١٢٩.

[١٧] الذهبي، سير اعلام البنلاء، ٤٠٤/١٧.

[١٨] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ١٤/ ٤٤؛ إبن كثير، البداية والنهاية ، ٢٢٥/١٥ .

[١٩] رعد محمود البرهاوي، المرأة في الحضارة العربية الإسلامية، (بغداد – ٢٠٠٩م)، ص٩٢.

[٢٠] يقول السخاوي ((قال القائل كنا نؤمر ان نتعلم القرآن ثم السنة ثم الفرائض ثم العربية...)). شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، فتح المغيث في شرح الفية الحديث، دار الكتب العلمية، (لبنان-١٤٠٣هـ)، ٢٦٠/٢.

[٢١] الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تح: ابو عبدالله السورقي وابراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، (المدينة المنورة، لا.ت)، ص١٦-١٧.

[٢٢] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٢/١٤؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ٢٦٤/١٥؛ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن ابي نصر، الاكمال في رفع الاتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١١هـ)، ٢٦٤/٤.

[٢٣] البرهاوي، المرأة في الحضارة العربية، ص١٠٩.

[٢٤] معروف ، ناجي ، علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ١٩٧٣) ، ص٢٤٦ .

[٢٥] ابراهيم، ناجية عبدالله، الجهود العلمية للمرأة خلال القرنيين الخامس والسادس الهجريين ، مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع ، (عمان -١٩٩٦) ، ص١٤٧-١٤٨ .

[٢٦] كحالة ، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط٢، (دمشق - ١٩٥٩)،٢/ ٣٦٤ .

(***) الفرائض: وهو علم يعنى بفقه المواريث وموضوعة التركات وهى مخلفات الميت، وثمرته ايصال ذوي الحقوق حقوقهم، واركانه ثلاثة هى :

١. الوارث وهو الحي.

٢. موروث وهو الميث.

٣. وحق الموروث وهو المال.

حاجي الخليفة، مصطفى عبد الله، كشف الضنون عن اسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين بالتقيا، (اسطنبول – ١٩٤١ م)، ١/ ٦٦٤ و ٢/ ١٢٤٤.

(****)اما مسائل الدور : هى التي يتم التصحيح فيها الى افساده

فألاول : ما نشأ الدور فيه حكم الشرع.

والثاني : ما نشأ من لفظة يذكرها الشخص.

وأكثر ما يقع الدور في مسائل الوصايا والعتق ونحوها.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، (بيروت– د. ت)، ١/ ٦٠١.

[٢٧] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٤/ ٤٤٢؛ إبن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٢/ ٥٢٨؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٥/ ٢٦٤؛ إبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥/ ٢٢٩ .

[٢٨] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٤/ ٤٤٢؛ إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٩/١٥ .

[٢٩] ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر، اعلام الموقعين عن رب العالمين ، دراسة وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت -١٩٧٣م) ، ١٢/١ .

[٣٠] ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين ،١٢/١ .

[٣١] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،٤٤٢/١٤؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٩/١٥ .

[٣٢] سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١٥ .

[٣٣] السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تح : محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو ، (القاهرة – لا.ت) ، ١٦٩/٣ .

[٣٤] كشف الظنون ، ١/ ١٦٠٥ .

[٣٥] المنشداوي ، خضير عباس ، عالمة الرياضيات أمة الواحد البغدادية ، بحث في كتاب : دور المرأة العربية في الحركة الفكرية ، منشورات جامعة بغداد -١٩٨٨ ، ص١٣١ .

[٣٦] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،٢٠٠/٦ .

[٣٧] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٧٥/١٢.

[٣٨] وهي أقدم مقابر بغداد وتقع في جانبها الشرقي، منسوبة الى الخيزران أم هارون الرشيد وأخيه الهادي، او وأنما نسبت اليها لانها مدفونة بها. ينظر: هارون، عبد السلام، معجم مقيدات ابن خلكان، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص٣١٦.

[٣٩] إبن الجوزي ، المنتظم ،٣٦٥/٦، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٦٠٧/٦ .

[٤٠] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،٨٤/٥ ، إبن الجوزي ، المنتظم ، ٣٢٨/٦ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٤٩٤/٥ .

[٤١] الذهبي ، تذكة الحفاظ ، ١١١٠/٣ .

[٤٢] الدرامي، عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام، سنن الدرامي، وزارة الاوقاف المصرية، (القاهرة، بلا.ت)، ٤١٢/١.

[٤٣] سير أعلام النبلاء ، ١٧/١٧.

[٤٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٧/١٧ .

[٤٥] الخطيب البغدادي ، ٥٣٢/٦ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٦٤/١٥ .

[٤٦] إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٩/١٥ .

[٤٧] الخطيب البغدادي ، ٤٤٢/١٤ .